التعريف والنقد

معجم « شمس العلوم »

أهدى الينا الجزء الأول من هذا المعجم أحد أعضاء مجمعنا العلمي المستشرق (ك٠ و٠ سترستين) السويدي ٠

وليس هـذا المستشرق الفاضل بمجهول المكانة لدى قراء مجلة المجمع : فبالأمس أصدر المجمع في جملة مطبوعاته كتاب (طرفة الأصحاب في معرفة الانساب) بتحقيقه ٠ وكتاب الطرفة هذا من تأليف أحد ملوك اليمن ٠ ومن مواضع العجب أن يقوم العلامة (سترستين) اليوم فيهدي الينا المعجم بتحقيقه وهو أيضاً لأحد ملوك اليمن ٠ واسم المعجم (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم) واسم مؤلفه (نشوان بن سعيد الحميري) الذي ترجم له السيوطي في بغية الوعاة ونقل عن الخزرجي أنه كان معتزلياً ووصفوه بأنه (أوحد أهل عصره وأعلم أهل دهره) عالماً فقيهاً أديباً شاعراً عارفاً بالأصول والفروع وسائر فنون الأدب ٠ وكتابه (شمس العلوم) في ثمانية أجزاء ٠ اختصره ولده في جزئين وسماه (ضياء الحلوم [1]) وقيل إن المختصر تلميذه (ابن نافع الحميري) لا ولده ٠ وهناك مختصر آخر لشمس العلوم اسمه « لوامع النجوم » غير معروف مؤلفه ، وهو لدى الأستاذ احمد عبد الغفور عطار بمكة وقد وصفه في مجلة الرسالة (عدد ٩١٨ صادر في ٥ فبراير سنة ١٩٥١) وان علم المؤلف نشوان وأدبه لم يشغله عن الطموح الى أعلى المراتب : فاستولى على قلاع وحصون في الجبل العظيم المطلّ

(١) توجد نسخة من هذا المختصر بمكتبة شيخ الاسلام بالمدينة كما أخبرنا احمد عبد الغفور عطار ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

على (تعز) المسمّى بصَبِير (على وزان كتِف) . ولما رأى أهل تلك البلاد منه ما رأوا قدموه حتى صار ملكاً . وكانت وفاته سنة ٥٧٣ هـ .

والمستشرق (سترستين) إن كان جمع بين هذين الملكين اليمانيين بخدمة آثارهما ـ فقد جمع بين معجمين لغويين في نبشهما من مكامنهما . واحياء ذكرهما وهما معجم (شمس العلوم) المذكور الذي حققه ونشره اليوم ومعجم (تهذيب اللغة [1]) للأزهري الذي كان نبشه منذ ثلاثين سنة ونشر قسماً منه في مجلّة (العالم الشرقي) التي تطبع في وطنه (أبسالا) وقد قال في مقدمته انه منذ سنة ١٩٠٤ م فكر في نشر ذلك الكتاب وتمكن بواسطة الدكتور ريتر المقيم في الأستانة من الحصول على فوتوغرافية الأوراق الأولى منه من نسخة محفوظة في مكتبة أياصوفيا كتبت سنة ١١٣٩ هـ .

أما المعجم الجديد (شمس العلوم) فنسخه مبعثرة في الشرق والغرب : منها ما هو في مكاتب أوروبا ، ومنها ثلاث مجلدات في دار الكتب المصرية . ومجلدة في المكتبة الأحمدية بطنطا . وكانت لجنة جيب بليدن نشرت من نسخة لديها منتخبات في أخبار اليمن سنة ١٩١٦ م حتى كانت هذه السنة فعمِلت على طبع النسخة برمتها وأصدرت الجزء الأول بتحقيق العلامة سترستين في (٢٧٥) صفحة بقطع فوق المتوسط وورق ثخين متين . وحرف على قرمطته جميل واضح . هذا عدا ملاحقه التي تبلغ ٥٤ صفحة كتبها الناشر بالألمانية ، وضمنها استدراكات وملاحظات غاية في التعريف بهذا الكتاب وفي الفائدة لمن يعرف الألمانية .

وقد أخبرنا الأستاذ احمد عبد الغفور عطار أخيراً أن في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمة الله الحسيني بالمدينة المنورة نسخة كاملة من (شمس العلوم) ونسخة

---

(١) توجد نسخة كاملة من التهذيب للأزهري بخط ياقوت الرومي بمكتبة شيخ الاسلام بالمدينة كما أخبرنا بذلك ايضاً أحمد عبد الغفور عطار .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مثلها في مكتبة إمام اليمن وقد أرسلها أخيراً الى مفوضيته في القاهرة على نية طبعها . ولا نعلم إن كان طابعوها في مصر يبلغون بها من الضبط والتصحيح ما بلغته مطبوعة ليدن . فان فعلوا وجبروا ما في النسخة الليدنية من نقص : فأحسنوا حرف طبعتهم ، وكتبوا لها مقدمة فضفاضة باللغة العربية ، وعلقوا على بعض الكلمات المحتاجة الى التعليق ، وخصّوا الكلمات المراد تفسيرها بحرف ثخين أو بحرف واضح تميزه العين لأول النظر اليه ، وكذلك العناوين خصّوها بحروف مشرقة واضحة تسهّل للمراجع أمر المراجعة ، ونظموا لنسختهم فهارس للفصول والأبواب باللغة العربية ـ إن فعلوا ذلك يوشك أن يفيدوا ويستفيدوا . ولا سيما أن نسخ طبعة ليدن قد تكون قليلة العدد لما نعلم من عادة القوم في الاقتصار على نسخ معدودة مما يطبعون . مكتفين بقدر حاجتهم وحاجة معاهدهم .

أشرنا الى أن النسخة الليدنية ليس لهـا مقدمة ولا فهرس ولا ما يفيد التعريف بها باللغة العربية وانما افتتحت بمقدمتين للمؤلف احداهما حمد الله فيها ووصف الحاجة الى كتابه كما وصف طريقته فيـه . وضبط كلماته . وإيراد فصوله . والثانية في فنّي التصريف والإبدال أودعها مسائل جمة وأمثلة عدة في منتهى الإمتاع للمشتغل بالعربية . وقد استغرقت المقدمتان ثلاثين صفحة .

وللمؤلف عناية بنظم الشعر ظهر أثرها على لسانه في مقدمته الأولى : فهو يقول في مطلع شعره متبجحاً مباهياً :

(كتابٌ بمانٍ يجمع العلم كله ويعجز عن مثلٍ له الثقلان)

وقال من قطعة أخرى :

(هذا الكتاب لكل علم جامعٌ وله محلٌ في العلوم منيف)

ووصف المؤلف طريقته في معجمه من حيث أخلّ بذلك أرباب المعاجم . حتى وقع نساخها في التصحيف والتحريف . أما هو فقد تلافى هذا النقص

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فيما التزمه بكتابه فهو : (يحرس كل كلمة بنقطها وشكلها . ويجعلها مع جنسها وشكلها . ويردها الى أصلها . جعلتُ فيه لكل حرفٍ من حروف المعجم كتاباً . ثم جعلت له ولكل حرفٍ معه من حروف المعجم باباً . ثم جعلتُ كل باب من تلك الأبواب شطرين : أسماءً وأفعالاً . ثم جعلتُ لكل كلمةٍ من تلك الأسماء والأفعال وزناً ومثالاً : فحروف المعجم تحرس النقط . وتحفظ الخط . والأمثلة حارسة للحركات والشكل . ورادّة كل كلمة من بنائها الى الأصل . فكتابي هذا يحرس النقط والحركات جميعا . ويدرك الطالب فيه ملتمسَه سريعا . بلا كدٍّ مطية عزيزيّة [1] . ولا أتعاب خاطر ولا رويّة . ولا طلب شيخ يقرأ عليه . ولا مقيّد يُفتقر في ذلك اليه اهـ) .

وانا لذاكرون هنا مثالاً من طريقته في كتابه : فهو بعد البسملة والحمدلة وسرد المقدمتين قال (كتاب الهمزة) ـ باب الهمزة وما بعدها من الحروف ـ في المضاعف ـ (الأسماء) : فَعْل بفتح الفاء وسكون العين . (ب) : الأَبُّ المرعى قال الله تعالى : وفاكهةً وأبًّا قال الشاعر :

(جدُّنا قيسٌ ونجدٌ دارنا ولنا الأبُّ بها والمكرع)

فالمؤلف دلّ بقوله (فَعْل) على الاسم الثلاثي وبحرف (ب) على أن هذا الثلاثي آخره باء وكل ذلك في الكلمات المضاعفة كما أشار اليه في العنوان . وهكذا يمضي المؤلف على شاكلته هذه في كل ألفاظ معجمه . وهو لم يتتبع كلَّ مواد اللغة وأفانين ألفاظها كما فعل اللسان مثلاً وانما اقتصر على الفصيح أو المألوف منها كما فعل الجوهري . ففي (باب التاء وبعدها نون) اكتفى بست كلمات . بينما هي في الكتب الكبرى ضعف ذلك العدد : فالنشوان

(١) قوله (مطيّة عزيزيّة) صوابه (غريريّة) براءين مهملتين مصغراً . والغريريّات إبل منسوبة الى (غرَير) وهو اسم فحل . م (٨)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أهمل (تنّوط) اسم طائر (وتنّوب) اسم شجر وألفاظاً أخرى غريبة مثل (تنتل) و (تَنَمْتَنَ) ويأليته ذكر لنا (التِناوة) كما ذكرها غيره لحاجتنا اليها . ومعناها أن يتعلم ثم يترك مدارسة العلم أو الفنّ الذي تعلمه ، فينساه على طول الزمن .

وقد رتب المؤلف كتابه على أوائل الحروف كما فعل صاحبا النهاية والمصباح . ولم يرتبه على أواخرها كما فعل صاحبا اللسان والقاموس . واذا علم القارئ أن الجزء الأول من (شمس العلوم) اشتمل على أربعة حروف وهي : (أ) (ب) (ت) (ث) أدرك ما سيكون عليه المعجم من عدد أجزاء . قالوا : ويمتاز هذا المعجم بأن مؤلفه يعلق على بعض الكلمات بما لا عَلاقة له بالمعنى اللغوي فيستطرد الى الأشياء العلمية والطبيعية ، فيذكر خصائص المعدن والحيوان والنبات : فالدجاج مثلاً لحمه معتدل في الحرارة والبرودة ، والذهب لا يبليه الثرى ولا تأكله النار ، والملكة الزبّاء كان من أمرها كيت وكيت ، وتُبَّع الحميري كان من عظيم أعماله كذا وكذا الخ . ومن ثمّ أطلق بعضهم على معجمه اسم دائرة معارف لغوية .

ولا أظن أن ما ذكروه من هذه الاستطرادات ميزة يمتاز بها هذا المعجم ، فان صاحبي اللسان والقاموس لم يقصّرا في هذا المضمار . وعابوا صاحب القاموس بأنه كثيراً ما أطلق القول وترك الشرح والتفسير واكتفى بحرف (م) أي معروف . وهكذا رأينا النشوان في معجمه يفعل كما فعلوا . ويبني كما بنوا .

ونختم قولنا بكلمة شكر لمطبعة ليدن على نشرها هذا الكتاب كما نشكر لمحققه ومهديه العلامة (سترستين) جزاه الله خيراً ونفع بعلمه وفضله .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net